الفصل الأول

من خطب
أبى بكر الصديق رضي الله عنه
وأهم وصاياه

من خطب أبى بكر الصديق رضي الله عنه :

(١) خطبة للصديق بعد البيعة

فقد ورد أنه رضي الله عنه لما ولى الخلافة قام خطيباً فحمد الله، وأثنى عليه بالذى هو أهله، ثم قال :

« أمَّا بعدُ، أيُها النَّاسُ .. فإنّى قَدْ وُلّيتُ عليكم ولستُ بخَيركم، فإنْ أحسنتُ فأعينونى، وإنْ أسأتُ فقوّمونى. الصّدق أمانة، والكذبُ خيانة، والضَّعيفُ فيكم قَوىٌ عندى حتَّى أرجع عليه حقَّهُ إنْ شاءَ الله. والقَوىُ فيكم ضعيفٌ عندى حتَّى آخذَ الحقَّ منه إنْ شاء الله. لا يدَعُ قومٌ الجهادَ فى سبيلِ الله إلا خذَلَهُمُ الله بالذلّ، ولا تَشيعُ الفاحشةُ فى قومٍ إلاَّ عمَّهم الله بالبلاءِ، أَطيعونى ما أطعتُ الله ورَسُولَه، فإذا عصيتُ الله ورَسُولَه؛ فَلا طاعةَ لى عَليكم. قُوموا إلى صَلاتكم يَرحمكم الله . .

ذكره الحافظ ابن كثير فى البداية بسند صحيح، وابن الأثير فى الكامل، وكذا أبو بكر الباقلانى فى إعجاز القرآن، بلفظ : قام خطيباً فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال :

« أمَّا بعدُ .. فإنّى وُلّيتُ أَمْركم ولستُ بخَيركم. ولكنْ نزلَ القرآنُ وسَنَّ النبىُّ صلى الله عليه وعلى آله وسلم وعلّمنا فعلِمنا. واعْلَموا أنَّ

أَكْيَسَ الكَيْس التُّقَى، وأنَّ أحمقَ الحمقِ الفُجورُ (١)، وأنَّ أقْوَاكم عندى الضَّعيفُ حتَّى آخذَ منه الحقَّ، وأنَّ أضْعَفَكم عندى القويُّ حتَّى آخذَ له بحقِّه.

أيُّها النَّاسُ .. إنَّما أنَا مُتَّبِعٌ ولستُ بمُبْتَدِع، فإنْ أحسنتُ فَأعِينونى، وإنْ زِغْتُ (٢) فقوِّمونى».

(٢) خطبة للصديق يوم غد البيعة

وخطب أبو بكر الصدِّيق رضي الله عنه فى ثانى يوم البيعة، فحمد الله، وأثنى عليه، ثم قال:

«أيُّها النَّاسُ .. إنَّما أنَا مثلكم، وإنِّى لا أَدرى لعلَّكم ستكلِّفونى ما كانَ رسولُ الله ﷺ يُطيقُ، إنَّ الله اصْطَفَى محمداً عَلَى العالمينَ وعَصَمَهُ منَ الآفات، وإنَّما أنَا مُتَّبِعٌ ولستُ بمُبْتَدِع، فإنِ استقمتُ فَتَابِعونى، وإنْ زِغْتُ فقوِّمونى، وإنَّ رسولَ الله ﷺ قُبِضَ وليسَ أحدٌ منْ هذه الأُمَّة يطلبهُ بمَظلمة(٣) ضربةِ سَوطٍ فمَا دُونها ، ألاَ وإنَّكم تَغْدُونَ وتَروحُونَ فى أَجَلٍ قَدْ غُيِّبَ عنكم علْمُه، فإنِ استطعتُم ألاَّ

(١) الحمق ـ بضم فسكون وبضمتين ـ: قلة العقل. والكيس ـ بفتح فسكون ـ : ضد الحمق.

(٢) زغت ـ بكسر فسكون ـ : أى : ملت.

(٣) المظلمة ـ بكسر اللام ـ: ما أخذه الظالم. وبفتحها: مصدر ظلم.

يَمضى هَذا الأجلُ إلاَّ وأنتُم فى عملٍ صالحٍ فافْعَلُوا، ولنْ تَستطيعوا ذلكَ إلاَّ باللهِ، فسَابِقوا فى مهلِ آجالكم منْ قبلِ أنْ تُسلمكم آجَالُكم إلى انقطاعِ الأعمالِ، فإنَّ قوماً نَسَوا آجَالَهم وجَعلوا أعْمالَهم لغيرهمْ، فإيَّاكم أنْ تكونوا أَمْثَالَهم ، الجِدَّ الجِدَّ ، والنَّجَاءَ النَّجَاءَ ، والوَحَا الوَحَا[1] ، فإنَّ وَراءَكم طَالباً حَثِيثاً، أجلاً مَرُّهُ سريعٌ. احْذَروا الموتَ واعْتَبِروا بالآباءِ والأبناءِ والإخوانِ ولا تَغبطوا الأحياءَ إلا بما تغبطون[2] به الأَمْوَات ..

[ذكره ابن كثير فى البداية. والطبرى فى تاريخه (٢/ ٤٦٠)]

(٣) خطبة للصديق فى الإخلاص والاعتبار

وخطب أبو بكر الصدِّيق ﷺ أيضاً، فحمد الله، وأثنى عليه، ثم قال :

. إنَّ اللهَ لا يقبلُ منَ الأعمالِ إلاَّ ما أُرِيدَ به وَجْهُهُ، فأَرِيدوا اللهَ بأعمالكم، واعْلَمُوا أنَّ ما أخلصتُم للهِ منْ أعمالكم فطاعةٌ أتيتموها، وحَظٌّ ظَفِرتُم به ، وضرائبُ أدَّيتموها، وسلفٌ قدَّمتموه منْ أيامٍ فانيةٍ لأُخْرَى باقيةٍ، لحين فَقْرِكم وحَاجَتكم ، اعْتَبِروا عِبَادَ اللهِ بمَنْ ماتَ

(١) النجاء والوحا : الإسراع.

(٢) الغبطة: تمنى مثل ما للغير من غير أن يريد زوال نعمته عنه.

منكم، وتفكَّروا فيمنْ كانَ قبلَكم، أينَ كَانُوا أمس ؟ وأينَ هُمُ اليوم ؟ أينَ الجبَّارونَ الذين كانَ لهم ذِكْر القتالِ والغَلبةِ فى مواطنِ الحروب؟ قَدْ تَضعضعَ بهم الدهرُ وصَاروا رَميماً، قَدْ تركتْ عَليهم القَالات(١) الخَبيثات، وإنَّما الخبيثاتُ للخبيثينَ والخَبيثون للخبيثات، وأينَ الملوكُ الذينَ أثاروا الأرضَ وعَمروها؟.. قَدْ بَعدواْ ونُسِىَ ذِكْرُهم، وصَاروا كَلاَ شىءٍ. ألاَ وإنَّ الله ـ عَزَّ وجلَّ ـ قَدْ أبقَى عليهم التَّبعات، وقطعَ عنهم الشَّهوات، ومَضَوا والأعمالُ أعمالُهم، والدُّنيا دارُ غَيرِهم. وبقينا خلفاً بعدَهم. فإنْ نحنُ اعْتَبَرْنَا بهم نَجَونا، وإن اغْتَررنا كُنَّا مثلهم. أينَ الوضَاءُ الحَسنة(٢) وجوهُهم، المعجبونَ بشَبابهم صَاروا تراباً، وصارَ ما فرَّطوا فيه حسرةً عَليهم. أينَ الذين بَنوا المدائنَ وحَصَّنوها بالحوائط، وجَعلوا فيها الأعاجيبَ ؟.. قَدْ تَركوها لِمَنْ خَلفَهم، فتلكَ مَساكنُهم خَاويةٌ وهُم فى ظلمات القُبور :

﴿هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا﴾(٣) .

أينَ مَنْ تعرفونَ مِنْ آبائكم وإخْوَانكم ؟.. قَد انتهتْ بهم آجالُهم فَوردوا علَى ما قدَّموا فَحَلُّوا عليه، وأقاموا للشقوة أو للسَّعادة فيما بعدَ الموت، ألاَ إنَّ الله لا شريكَ له، ليسَ بينهُ وبينَ أحدٍ مِنْ خَلْقه سببٌ

(١) القالات: جمع قالة، وهى القيل والقال تكون فى الشر، والقول فى الخير.

(٢) الوضاء : جمع وضىء، وهو الحسن والنظيف.

(٣) الركز ـ بكسر فسكون ـ : الصوت الخفى ـ والآية من سورة مريم: ٩٨.

يعطيه به خيراً، ويصرفُ به عنهُ سوءاً إلا بطاعته واتّباع أمره، واعْلَموا أنكم عبيدٌ مَدينونَ، وأنَّ ما عندهُ لا يُدْرَكُ إلا بطاعته، أما آنَ لأحدكم أنْ تُحْسَرَ عنهُ النَّار[1] ولا تُبْعَدَ عنهُ الجنَّة . .

[ذكره الحافظ ابن كثير فى البداية . والطبرى فى تاريخه (٢/ ٣١١) وشرح ابن أبى الحديد (٤/ ١٦٧)].

(٤) خطبة للصديق فى التقوى والامتثال

وعن موسى بن عقبة، أن أبا بكر ﷺ خطب، فقال :

« الحمدُ لله ربِّ العالمينَ، أحمدهُ وأستعينهُ، وأسألهُ الكرامةَ فيما بعدَ الموت. وأشهدُ أنْ لا إلهَ إلاَّ الله وَحْدَهُ لا شريكَ له، وأنَّ محمداً عبدُه ورسوله، أرسله بالحق بشيراً ونذيراً، وسراجاً منيراً ﴿ لِيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ [2] مَنْ يُطِعِ اللهَ ورسولَهُ فَقَدْ رَشَدَ، ومَنْ يعصهما فقدْ ضَلَّ ضَلالاً مبيناً.

أُوصيكم بتَقْوَى الله ، والاعْتِصَام بأَمْرِ الله الذى شَرَعَ لكم وهَدَاكُم به،

---

(١) أى: تبعد . يقال : حسر الماء من باب قعد.

(٢) سورة يس : ٧٠.

فإنَّهُ جوامعُ هدى للإسلام بعدَ كلمةِ الإخلاصِ، السَّمعَ والطَّاعةَ لمنْ ولاَّه اللهُ أَمْرَكم، فإنَّه مَنْ يطع والى الأمرِ بالمعروفِ والنَّهى عنِ المنكرِ فقدْ أفلحَ وأدَّى الذى عليهِ منَ الحقِّ، وإيَّاكم واتِّباعَ الهَوى، فقدْ أفلحَ مَنْ حُفظَ منَ الهَوى والطمعِ والغضبِ، وإيَّاكم والفخرَ، وما فَخْرُ مَنْ خُلقَ منْ تُراب ؟.. ثُمَّ إلى التراب يعود، ثُمَّ يأكلُه الدُّود، ثُمَّ هوَ اليومَ حىٌّ وغداً ميتٌ، فاعْملوا يوماً بيوم، وساعةً بساعةٍ، وتوقَّوا دعاءَ المظلومِ. وعدُّوا أنفسكم فى المَوْتَى، واصْبِروا فإنَّ العملَ كله بالصبرِ، واحْذَروا فالحذرُ ينفعُ، واعْملوا فالعملُ يُقبلُ، واحْذَروا ما حذَّركم اللهُ منْ عذابِه، وسَارعوا فيما وَعدكم اللهُ منْ رحمتِه، وافْهَموا تفهموا، واتَّقوا تُقوا، وإنَّ اللهَ قَدْ بيَّن لكم ما أهلكَ به مَنْ كانَ قبلَكم، ومَا نَجَا به مَنْ نَجَا قبلَكم، قَدْ بيَّن لكم فى كتابِه حَلالَهُ وحَرامَهُ، ومَا يحبُّ منَ الأعمالِ وما يكرهُ، واعلموا أنَّكم مَا أخلصتُم للهِ منْ أعمالكم فربَّكم أَطعتُم، وحظَّكم حَفظتُم واغتبطتُم، وما تَطوعتمُ به فاجعلوهُ نوافلَ بينَ أيديكم تَستوفوا بسَلفكم، وتُعطوا جَزاءكم حينَ فَقْرِكم وحَاجتكم إليها، ثُمَّ تَفكَّروا عبادَ اللهِ فى إخوانكم وصَحابتكم الذينَ مَضَوا، قَدْ وَردوا على ما قَدَّموا فأقاموا عليه، وأحلُّوا فى الشقاءِ والسعادةِ فيما بعدَ الموتِ. إنَّ اللهَ ليسَ له شريكٌ وليسَ بينَه وبينَ أحدٍ منْ خَلْقِه نَسَبٌ يعطيه به خيراً، ولا يصرفُ عنهُ سوءاً إلا بطاعتِه واتِّباع أَمْرِه، فإنَّه لا خيرَ فى خيرٍ بعدَه النَّار، ولا شرَّ فى شرٍّ بعدَه الجنَّة. أقولُ قَولى هذا وأستغفرُ اللهَ لِى

ولكم. وصلُّوا على نبيكم محمدٍ ﷺ .. والسَّلام عليكم ورحمةُ الله وبركاتُه».

[أخرجه ابن أبى الدنيا، وابن عساكر]

(٥) خطبة جامعة للصديق رضي الله عنه

وخطب أبو بكر الصدِّيق رضي الله عنه سنة ١٣ هجرية، فقال:

«الحمدُ لله أحمدهُ وأستعينهُ وأستغفرهُ. وأُومنُ به وأتوكلُ عليه، وأَستهدى اللهَ بالهُدى، وأعوذُ به من الضَّلالة والرَّدى، ومنَ الشَّكّ والعَمَى.. ﴿مَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُّرْشِدًا﴾(١) وأشهدُ أنْ لا إلهَ إلا الله وَحْدَهُ لا شريكَ له، له المُلْكُ وله الحَمْدُ، يُحيى ويُميتُ وهو حيٌّ لا يموت، يُعزُّ مَنْ يَشاء، ويُذلُّ مَنْ يَشاء بيده الخيرُ وهو على كلِّ شيءٍ قدير. وأشهدُ أنَّ محمداً عَبْدُهُ ورسولُه، أرسلَه بالهُدى ودينِ الحقِّ - ليُظهرَهُ على الدِّينِ كُلِّه ولو كَرِهَ المشركونَ - إلى الناسِ كافةً رحمةً لهم وحُجَّةً عليهم، والناسُ حينئذٍ على شرِّ حالٍ فى ظلماتِ الجاهليةِ، دِينُهم بِدْعةٌ، ودَعوتُهم فِرْيَةٌ(٢)، فأعزَّ اللهُ

(١) سورة الكهف: ١٧ (٢) أى: الاختلاق.

الدِّينَ بمحمدٍ ﷺ، وأَلَّفَ بينَ قلوبكم أيُّها المؤمنونَ ﴿فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا﴾(١) ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾(٢)، فأطيعوا اللهَ ورسولَه، فإنَّه قالَ - عزَّ وجلَّ -: ﴿مَن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾(٣).

أمَّا بعدُ..أيُّها النَّاسُ.. إنِّى أُوصيكم بتَقْوَى اللهِ العظيمِ فى كلِّ أَمْرٍ وعلَى كلِّ حالٍ ولزومِ الحقِّ فيما أَحببتُم وكرهتُم، فإنَّهُ ليسَ فيما دونَ الصِّدقِ منَ الحديثِ خيرٌ، ومَنْ يكذبْ يَفْجُرْ، ومَنْ يفجرْ يَهلكْ، وإيَّاكم والفخرَ، وما فَخْرُ مَنْ خُلِقَ منَ الترابِ وإلى الترابِ يعود؟.. هو اليومَ حيٌّ وغداً ميتٌ، فاعْمَلوا وعِدُّوا أنفسَكم فى المَوْتَى، ومَا أَشكلَ عليكم فردُّوا علْمَهُ إلى اللهِ، وقدِّموا لأنفسِكم خيراً تجدوهُ مُحْضَراً، فإنَّه قالَ - عزَّ وجلَّ -:

﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾(٤).

---

(١) الشفا: الحافة والطرف، أى: كنتم على طرف حفرة من النار، فأنقذكم الله منها بالإيمان.
(٢) سورة آل عمران: ١٠٣. (٣) سورة النساء: ٨٠. (٤) سورة آل عمران: ٣٠.

فاتَّقوا اللهَ عبادَ اللهِ وراقبوهُ، واعْتبروا بمَنْ مضَى قَبْلَكم، واعْلَموا أنَّه لابدَّ منْ لقاءِ ربِّكم، والجزاءِ بأعْمالكم صغيرِها وكبيرِها إلاَّ مَا غفرَ اللهُ، إنَّه غفورٌ رحيمٌ، فَأَنْفُسَكُمْ أَنْفُسَكُمْ، والمستعانُ باللهِ، ولا حولَ ولا قوَّةَ إلا باللهِ:

﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ (١).

اللَّهُمَّ صَلِّ علَى محمدٍ عبْدكَ ورسولكَ أفضلَ ما صلَّيتَ على أحدٍ منْ خلْقكَ، وزكِّنَا بالصَّلاةِ عليه، وألْحقنا به، واحْشُرنا فى زُمْرتِه، وأوردْنا حوْضَهُ، اللَّهُمَّ أعِنَّا علَى طاعتِكَ، وانْصُرْنا علَى عدوِّكَ.

[ذكره ابن عبد ربه فى «العقد الفريد» (٢ / ١٣١)]

(٦) خطبة للصديق فى التقوى والحث على صالح العمل

وخطب أبو بكر الصدِّيق ﷺ فحمد الله، وأثنى عليه، ثم قال:

أُوصيكم بتَقْوَى اللهِ، وأنْ تُثنوا عليه بما هوَ أهلُه، وأنْ تَخلطوا

(١) سورة الأحزاب: ٥٦.

الرغبةَ بالرهبةِ، وتَجمعوا الإلحافَ [1] بالمسألة، فإنَّ الله أثْنَى علَى زكريًا وأهل بيته، فقال: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾ [2].

ثُمَّ اعْلَموا - عِبادَ الله - أنَّ الله قَدِ ارتهنَ بحقِّه أنفسَكم، وأخذَ علَى ذلكَ مواثيقكم، وعوَّضكم بالقليلِ الفانى الكثيرَ البَاقى. وهذا كتابُ الله فيكم لا تَفْنَى عَجَائبُه، ولا يطفأ نورُه، فَثِقُوا بقوله وانْتَصِحُوا كِتَابَهُ[3] واسْتَبْصِروا فيه ليومِ الظلمةِ، فإنَّه خَلَقَكم لعبادته، ووكلَ بِكُمُ الكرامَ الكاتبينَ، يعلمونَ ما تفعلونَ، ثم اعْلَموا - عِبَادَ الله - أنكم تَغدونَ وتَروحونَ فى أَجَلٍ قَدْ غُيِّبَ عَنكُم عِلْمُه... » إلى آخر ما تقدم فى الخطبة الثانية.

[ذكره فى العقد الفريد (٢/ ١٣١)، وعيون الأخبار (٢/ ٢٣٢)]

(٧) خطبة للصديق فى الحث على العمل والإخلاص

وقال نعيم بن نمحة: خطب أبو بكر رضي الله عنه فكان من قوله:

---

(١) الإلحاف: الإلحاح فى الطلب. (٢) سورة الأنبياء: ٩٠.

(٣) أى: اقبلوا نصيحته. يقال: انتصح فلان إذا قبل النصيحة.

« أمَا تعلمونَ أنكم تغدونَ وتروحونَ لأجَلٍ معلوم، فمَن استطاعَ أنْ يَقضى الأجَلَ وهوَ فى عملِ اللهِ - عزَّ وجلَّ - فليفعلْ، ولنْ تَنالوا ذلكَ إلا باللهِ تعالَى، إنَّ قوماً جعلوا آجالَهم لغيرِهم فنهاكُم اللهُ أنْ تكونوا أمثالَهم : ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ﴾ (١) أينَ مَنْ تعرفونَ منْ إخوانكم ؟ قَدموا علَى ما قَدَّموا فى سالفِ أيامِهم، وخلَوا بالشقوةِ والسَّعادة. أينَ الجبَّارونَ الأوَّلونَ الذينَ بَنوا المدائنَ وحصَّنوها بالحوائط ؟(٢) قَدْ صَاروا تحتَ الصُّخورِ والآبار. هذا كتابُ اللهِ لا تَفْنَى عَجائبهُ، فاسْتَضيئوا منهُ ليومِ ظلمةٍ، واسْتَضيئوا بسَنائه وبيَانه. إنَّ اللهَ أثْنَى علَى زكريَّا وأهلِ بيتِه، فقالَ : ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾ (٣) لا خيرَ فى قولٍ لا يُرادُ بهِ وَجْهُ اللهِ، ولا خيرَ فى مالٍ لا يُنْفَقُ فى سبيلِ اللهِ، ولا خيرَ فيمنْ يغلبُ جَهْلُهُ حلْمَهُ، ولا خيرَ فيمنْ يخافُ فى اللهِ لومةَ لائمٍ ».

[أخرجه الطبرانى فى الكبير. قال الهيثمى : ونعيم بن نمحة لم أجد من ترجمه].

(١) سورة الحشر : ١٩.
(٢) جمع حائط وهو البستان . وحائط البنيان جمعه : حيطان.
(٣) سورة الأنبياء : ٩٠.

ومن خطبه ﷺ التى كان يحث الناس فيها على الجهاد فى سبيل الله:

(٨) خطبته فى ندب الناس لفتح الشام

وخطب أبو بكر الصدِّيق ﷺ يندب الناس لفتح الشام، فحمد الله، وأثنى عليه، وصلى على رسوله ﷺ وقال :

« ألاَ إنَّ لكلِّ أمرٍ جوامعَ، فمنْ بلغها فَهِىَ حَسْبُهُ، ومَنْ عَمِلَ لله كَفاهُ الله، عليكم بالجِدِّ والقَصْدِ، فإنَّ القصدَ أبلغُ، ألاَ إنَّهُ لا دِينَ لأحدٍ لا إيمانَ له ، ولا أجرَ لمنْ لا حِسبةَ له، ولا عملَ لمنْ لا نيَّةَ له، ألاَ وإنَّ فى كتابِ الله مِنَ الثوابِ علَى الجِهادِ فى سبيلِ الله، كما ينبغى للمسلم أنْ يحبَّ أنْ يُخَصَّ بهِ، هى التجارةُ التى دُلَّ علَيها، ونُجِّىَ بِها مِنَ الخِزْيِ، وأُلْحِقَ بِها الكرامةَ فى الدُّنيا والآخِرة » .

[تاريخ الطبرى (٤/ ٣٠)]

وحدَّث أبو إسماعيل محمد بن عبد الله الأزدى البصرى، صاحب «فتوح الشام»، قال :

لـمَّا أراد أبو بكر ـ رحمة الله عليه ـ أن يجهِّز الجنود إلى الشام، دعا عمر وعثمان وعلياً وطلحة والزبير وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن

أبى وقاص وأبا عبيدة بن الجراح ووجوه المهاجرين والأنصار من أهل بدر وغيرهم، فدخلوا عليه، فقال :

(٩) خطبة أبى بكر رضي الله عنه

« إنَّ اللهَ - تَبارك وتَعالَى - لا تُحْصَى نِعَمُه، ولا تبلغُ جَزاءها الأعمالُ، فَلَهُ الحمدُ كثيراً على ما اصطنعَ عندكم، فقدْ جمعَ كَلمتَكم، وأَصْلحَ ذاتَ بَيْنكم، وهَداكم إلى الإسلامِ، ونَفَى عنكم الشيطانَ، فليسَ يطمعُ أنْ تُشركوا بالله، ولا أنْ تَتخذوا إلهاً غيرَهُ، فالعربُ اليومَ بَنُو أم وأبٍ، وقَدْ أردتُ أنْ أستنفرَهم إلى جهادِ الروم بالشَّامِ؛ ليزيدَ اللهُ المسلمينَ، ويجعلَ اللهُ كلمتَهُ العُلْيَا، معَ أنَّ للمسلمينَ فى ذلكَ الحظَّ الأوفَرَ. فمَنْ هلكَ منهم هَلكَ شهيداً، وما عندَ اللهِ خيرٌ للأبرارِ، ومَنْ عاشَ منهم عاشَ مُدافعاً عَنِ الدِّينِ، مُستوجباً على اللهِ - عَزَّ وجَلَّ - ثوابَ المجاهدينَ. هَذا رَأيى الذى رأيتُ فَلْيُشِرْ علىَّ امرؤٌ بمبلغِ رأيهِ ».

خطبة عمر بن الخطاب رضي الله عنه

فقام عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فحمد الله، وأثنى عليه، وصلى على النبى صلى الله عليه وسلم، ثم قال :

« الحمدُ لله الذى يخصُّ بالخير مَنْ يشاءُ مِنْ خلْقه، والله مَا اسْتَبقنا إلى شىءٍ مِنَ الخيرِ قَطُّ إلا سَبقَتنا إليه، وذلكَ فَضْلُ اللهِ يؤتيه مَنْ يَشاء، قَدْ واللهِ أردتُ لقَاءكَ لهذا الرأى الذى ذكرتَ، فمَا قَضَى اللهُ أنْ يكونَ ذلكَ حتَّى ذَكرتَهُ الآنَ، فَقدْ أصبتَ، أصابَ اللهُ بِكَ سُبُلَ الرشاد، سَرِّبْ إليهم الخَيلَ فى إثرِ الخيلِ، وابعثِ الرِّجالَ تَتبعها الرِّجالُ، والجنودَ تَتبعها الجنودُ، فإنَّ الله ـ عَزَّ وجلَّ ـ نَاصِرُ دِينه، ومُعِزُّ الإسلامِ وأهله، ومُنجزُ ما وَعَدَ رَسُولَهُ ».

[فتوح الشام ص ١، وتاريخ ابن عساكر (١/ ١٢٦، ١٢٧)]

خطبة عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه

ثم إن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه قام، فقال :

« يا خليفةَ رسولِ الله .. إنَّها الرومُ وبنو الأصفرِ، حدٌّ حديدٌ، ورُكْنٌ شديدٌ، واللهِ ما أَرى أنْ تُقحمَ الخيلَ عليهم إقحاماً، ولكنْ تبعثُ الخيلَ، فتُغيْرُ فى أدانى أرضهم، ثُمَّ تَبعثها فتُغيرُ، ثم تَرجعُ إليكَ، ثُمَّ تَبعثها فتُغيرُ، ثُمَّ ترجعُ إليكَ، فإذا فَعلوا ذلكَ مِراراً أضرُّوا بعدوِّهم، وغَنموا مِنْ أدانى أرضهم فَقَوَوا بذلكَ علَى قِتَالِهمْ، ثُمَّ تبعثُ إلى أَقاصى أهلِ اليَمَنِ، وإلى أَقاصى ربيعةَ ومُضَرَ فتجمعهم إليكَ جميعاً، فإنْ شئتَ عِندَ

ذلكَ غَزَوْتَهُمْ بنفسكَ، وإنْ شئتَ بعثتَ عَلَى غَزْوِهم غَيْرَكَ ».

ثم جلس وسكت، وسكت الناس.

قال لهم أبو بكر : ما ترون.. رحمكم الله ؟.

خطبة عثمان بن عفان رضي الله عنه

فقام عثمان بن عفان ـ رضوان الله عليه ـ فحمد الله، وأثنى عليه بما هو أهله، وصلى على النبى ﷺ، ثم قال :

« رَأيى أنكَ نَاصِحٌ لأهلِ هذا الدّينِ، عَلَيهم شَفيقٌ. فإذا رأيتَ رأياً علمتَه لَهم رشداً وصَلاحاً وخيراً، فاعزمْ عَلَى إمضائه، وإنكَ غيرُ ظنينٍ ولا مُتَّهم عَليهم».

فقال طلحة، والزبير، وسعد، وأبو عبيدة بن الجراح، وسعيد بن زيد، وجميع من حضر ذلك المجلس من المهاجرين والأنصار :

« صَدَقَ عثمانُ فيما قالَ، ما رأيتَ منْ رأيٍ فامضِ ، فَإنَّا سامعونَ لكَ مطيعونَ، لا نُخالفُ أَمْرَكَ ، ولا نَتَّهِمُ رأيكَ ، ولا نَتَخَلَّفُ عَنْ دعوتكَ وإجابتكَ».

فذكروا هذا وشبهه ، وعلى بن أبى طالب ـ رحمة الله عليه ـ فى القوم لا يتكلم، فقال له أبو بكر: ما ترى يا أبا الحسن ؟

قال: « أرَى أنكَ مباركُ الأَمْر،ميمونُ النَّقيبةِ ، وأنَّكَ إنْ سِرْتَ إليهمْ بِنفسكَ أو بعثتَ إليهم نُصِرْتَ إنْ شاءَ الله » .

فقال له أبو بكر:

«بشَّركَ اللهُ بخيرٍ، فمن أين علمتَ هذا ؟»

قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

« لا يزالُ هَذا الدِّينُ ظاهرًا علَى كلِّ مَنْ نَاوَأَهُ ، حَتَّى يقومَ الدِّينُ وأهلُه ظاهرين » .

فقال أبو بكر:

«سُبحانَ الله !.. ما أَحْسَنَ هَذا الحديثَ .. لقدْ سَرَرْتَنِى سَرَّكَ اللهُ فى الدُّنيا والآخِرة» .

(١٠) خطبة أبى بكر رضي الله عنه

ثم إن أبا بكر ـ رحمة الله عليه، ورضوانه ـ قام فى الناس ، فحمد الله، وأثنى عليه، وذكره بما هو أهله، وصلَّى على النبى ﷺ ، ثم قال:

« أيُّها النَّاسُ.. إنَّ اللهَ قَدْ أَنْعَمَ علَيكم بالإسْلامِ ، وأَعزَّكم بالجهادِ، وفَضَّلكم بهذا الدِّينِ علَى أهلِ كلِّ دِينٍ. فَتَجَهَّزُوا ـ عِبَادَ اللهِ ـ إلى غَزْوِ الرومِ بالشَّامِ ، فإنِّى مُؤَمِّرٌ علَيكم أُمراءَ وعَاقِدٌ لَهم ألويةً، فَأطيعوا

ربكم، ولا تُخالفوا أُمَراءكم ، وَلْتَحْسُنْ نِيَّتُكُم وسِيْرَتُكم وطعمَتُكمْ ، فَإنَّ اللهَ معَ الذينَ اتَّقَوا والذينَ هُمْ مُحسنونَ» .

فسكت الناس، فوالله ما أجابه أحدٌ هيبةً لغزو الروم لما يعلمون من كثرة عددهم وشدة شوكتهم . فقام عمر بن الخطاب رحمة الله عليه ورضوانه ، فقال: يا معشرَ المسلمين .. ما لكم لا تجيبون خليفةَ رسول الله ﷺ إذا دعاكم لما يحييكم ؟!.

خطبة خالد بن سعيد بن العاص رضي الله عنه

فقام خالد بن سعيد بن العاص، فحمد الله وأثنى عليه ، وصلى على النبى ـ صلى الله عليه وعلى آله وسلم ـ ثم قال:

« الحمدُ لله الذى لا إلهَ إلا هوَ، الذى بعثَ محمداً ﷺ بالهُدى ودينِ الحقِّ ليظهرهُ علَى الدِّين كلِّه ولو كرهَ المشركونَ، فإنَّ اللهَ مُنْجِزُ وَعْدِه، ومُعِزُّ دِينه، ومُهْلِكُ عَدُوِّه ».

ثم أقبل على أبى بكر، فقال:

« نحنُ غيرُ مخالفينَ لكَ ، ولا متخلِّفينَ عنكَ ، وأنتَ الوالى الناصحُ الشفيقُ ،ننفرُ إذا استْنفرتَنا، ونطيعكَ إذا أَمَرْتَنا ، ونُجيبكَ إذا دَعوتَنا ».

ففرح أبو بكر بمقالته ، وقال له :

« جزاكَ اللهُ مِنْ أخٍ وخليلٍ خيراً، فقدْ أسلمتَ مرتغباً، وهاجرتَ مُحْتَسِباً ، وهربتَ بدينكَ منَ الكفارِ لكى يُطاعَ اللهُ ورسولُهُ ، وتكونَ كلمةُ اللهِ هِىَ العُليا، فَتَيَسَّرْ- رحمكَ اللهُ ».

فتجهَّز خالد بن سعيد بأحسن الجهاز ، وخرج هو وإخوته وغلمانه ومن تبعه من أهل بيته ، فكان أول من عسكر، وأمر أبو بكر بلالاً فنادى فى الناس: أن انفروا إلى جهاد عدوكم الروم بالشام.. فنفروا إليه.

ووصيته لخالد بن سعيد بن العاص رضي الله عنه

فلما خرج من المدينة قال له أبو بكر رضي الله عنه :

« إنَّك قَدْ أوصيتنى برُشدِى وقَدْ وَعيتُهُ، وأنَا مُوصيكَ فاستمعْ وَصيَّتى وَعِهَا، إنَّكَ امرؤٌ قد جعلَ اللهُ لكَ سابقةً فى الإسلام ، وفضيلةً عظيمةً، والناسُ ناظرونَ إليكَ ، ومستمعونَ منكَ ، وقَدْ خرجتَ فى هذا الوَجْهِ العظيمِ الأجْرِ، وأنا أرجو أنْ يكونَ خروجكَ فيه لِحسْبةٍ ونيةٍ صَادقةٍ إنْ شاءَ الله، فَثَبِّتِ العَالِمَ ، وعلِّمِ الجَاهِلَ ، وعَاتِبِ السَّفيهَ المترفَ، وانصحْ لعامَّةِ المسلمينَ ، واخْصُصِ الوالى على الجندِ مِنْ نصيحتكَ ومشورتكَ ما يحقُّ لله وللمسلمينَ عليكَ ، واعملْ لله كأنكَ تَراهُ، واعْدُدْ نَفْسَكَ فى الموتَى، واعلمْ أنَّا عمَّا قليلٍ ميتونَ ثُمَّ مبعوثونَ

ثم مُساءَلونَ ومُحاسَبونَ ، جَعَلَنا اللهُ وإيَّاكَ لأنعمه منَ الشاكرينَ ، ولنِقَمِه منَ الخائفينَ ، ثُمَّ أخَذَ يَدَهُ فودَّعَهُ . .

وجهَّز أبو بكر أربعة جيوش على أحدها عمرو بن العاص ووجَّهه إلى فلسطين ، وعلى الثانى شرحبيل بن حسنة ووجَّهه إلى الأردن، وعلى الثالث يزيد بن أبى سفيان ووجَّهه إلى البلقاء، وعلى الرابع أبو عبيدة عامر بن الجراح ووجَّهه إلى حِمْص ، وشيَّع الأمراء ووصَّاهم .

[فتوح الشام (ص١٨)]

(١١) خطبة للصديق
فى التذكير بالآخرة وما فيها من شدة الحساب

أخرج ابن زنجويه فى كتاب «الأموال» عن سعيد بن أبى مريم، قال: بلغنى أنه لما استُخلف أبو بكر ﷺ صعد المنبر، فحمد الله، وأثنى عليه، ثم قال:

«إنَّه واللهِ لَولاَ أنْ تضيعَ أُمورُكم ونحنُ بِحَضْرَتِهَا لأحببتُ أنْ يكونَ هذا الأمرُ فى عنقِ أبغضِكم إلىَّ ثُمَّ لا يكونَ خيراً له. ألاَ إنَّ أَشْقَى النَّاس فى الدُّنيا والآخرة الملوكُ ، فاشرأبَّ[1] ورَفعوا إليه رُءوسهم،

(١) أى: رفع رأسه لينظر.

فَقال: عَلَى رِسْلِكُم(١) ، إنكم عَجِلونَ ، إنَّه لنْ يملكَ مَلكٌ قَطُّ إلا علَمَ اللهُ مُلكه قبلَ أنْ يملكهُ، فينقصُ نصفَ عمرِه ويُوكلُ به الرَّوع والحزن، ويزهّده فيما بيده ، ويرغّبهُ فيما بأيدى الناس، فتضنك(٢) معيشته وإنْ أكلَ طعاماً طيّباً ولبسَ جيّداً حتَّى إذا أَضْحَى ظلُّه وذهبتْ نفسُه وورد إلى ربِّه فَحاسَبه فشدَّ حِسَابهُ وقلَّ غُفرانه لَهُ ، ألاَ إنَّ المساكينَ هُمُ المغفورونَ .. ألاَ إنَّ المساكينَ هُمُ المغفورونَ .. ألاَ إنَّ المساكينَ هُمُ المغفورونَ ».

[كذا فى الكنز (٣/ ١٦٢)]

(١٢) خطبة للصديق فى التذكير بالوقوف بين يدى الله تعالى فى يوم القيامة.. من أجل الحساب

وأخرج أبو الشيخ ،عن يزيد بن هارون، قال: خطب أبو بكر الصدِّيق رضي الله عنه، فقال فى خطبته :

« يُؤتَى بعبدٍ قد أنعمَ اللهُ عليه وبسطَ له فى الرزق قد أَصَحَّ بدنه وقد كفرَ نعمةَ ربه ، فيُوقف بين يدى الله تعالى، فيُقال له : ماذا عملتَ ليومك هذا وما قدَّمتَ لنفسكَ ؟ فلا يجده قدَّمَ خيراً فيبكى حتَّى

(١) الرِّسْل ـ بالكسر ـ : الهينة والتأنى. (٢) أى: تضيق.

تنفدَ الدموع ،ثم يُعَيَّر فَيُخْزَى بما ضيَّع منْ طاعة الله فيبكى الدم، ثم يُعيَّر ويُخْزَى حتى يأكلَ يديه إلى مرفقيه، ثم يُعيَّر فيُخْزَى بما ضيَّع من طاعة الله فَيَنْتَحب (١) حتى تسقطَ حدقتاه على وجْنَتَيْه. وكل واحدٍ منهما فَرْسَخٌ فى فَرْسَخٍ. ثم يُعيَّر ويُخْزَى حتَّى يقول : يا ربُّ ابعثنى إلى النارِ وارحمنى منْ مقامى هذا، وذلك قوله :

﴿ .. أَنَّهُ مَن يُحَادِدِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا ذَلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ ﴾(٢)».

[كذا فى الكنز (١/ ٢٤٦)]

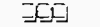

(١٣) خطبة للصديق فى الموعظة والاعتبار

وأخرج ابن أبى الدنيا ، والدينورى ، عن محمد بن إبراهيم بن الحارث ، أن أبا بكر الصدِّيق رضي الله عنه خطب الناس، فقال :

«والذى نَفْسى بيده، لَئن اتَّقَيْتُمْ وأحْصنتُم ليوشكنَّ أنْ لا يأتىَ عليكم إلا يسيرٌ حتَّى تشبعوا من الخبز والسَّمن».

[كذا فى الكنز (٨/ ٢٠٦)]

(١) أى: يبكى شديداً رافعاً صوته.

(٢) سورة التوبة : ٦٣.

(١٤) خطبة للصديق
فى الاستحياء من الله تعالى

وأخرج أبو نعيم فى «الحلية» (١/ ٣٤) عن عروة بن الزبير، عن أبيه، أن أبا بكر رضي الله عنه خطب الناس فقال :

«**يا معشرَ المسلمين .. اسْتَحْيُوا من اللهِ عَزَّ وجَلَّ، فوالذى نَفْسى بيده، إنّى لأَظلُّ حينَ أذهبُ إلى الغائطِ، فى الفضاءِ، مُتَقَنِّعاً بثوبى؛ استحياءً من ربّى عزَّ وجَلَّ**».

(١٥) خطبة للصديق فى سؤال الله تعالى
العفو والعافية فى الدنيا والآخرة

وأخرج الترمذى، وحسَّنه، والنسائى، عن أبى بكر رضي الله عنه أنه قام على المنبر، ثم بكى، فقال :

«**سلُوا اللهَ العَفْوَ والعَافِيَةَ، فإنَّ أَحَداً لَمْ يُعْطَ بعدَ اليقينِ خيرًا مِنَ العافيةِ**».

[كذا فى الترغيب (٥/ ٢٣٣)]

(١٦) خطبة للصديق فى الترغيب فى الصدق والتحذير من الكذب

وعند أحمد، والنسائى، وابن حبان، والحاكم، عن أوس، قال : خطبنا أبو بكر الصدِّيق رضي الله عنه، فقال :

«قامَ فينا رسولُ الله ﷺ مقامى هذا عامَ الأول، فقال :

« سلُوا اللهَ المعافاةَ (أو قال : العافيةَ) فإنَّه لم يُعْطَ أحدٌ قطُّ ـ بعدَ اليقينِ ـ أفضلَ من العافيةِ (أو المعافاة) وعليكم بالصِّدْقِ فإنَّه مع البرِّ، وهما فى الجنة، وإيَّاكم والكذبَ، فإنه مع الفجورِ وهما فى النارِ، لا تَحاسَدُوا، ولا تَباغَضُوا، ولا تَقاطَعُوا، ولا تَدابَرُوا، وكُونوا عبادَ اللهِ إخواناً؛ كما أَمَرَكُمُ اللهُ».

[كذا فى الكنز (١/ ٢٩١)]

(١٧) خطبة للصديق فى التعوذ بالله من خشوع النفاق

أخرج الحكيم، والعسكرى، والبيهقى، عن أبى بكر الصدِّيق رضي الله عنه، أنه قال :

«قالَ رسولُ الله ﷺ: تَعَوَّذُوا بالله من خُشُوعِ النِّفاقِ. قالوا: يا رسولَ اللهِ .. وما خُشُوعُ النِّفاقِ ؟. قال : خُشُوعُ البدنِ ونِفَاقُ القَلْبِ».

[كذا فى الكنز (٤/ ٢٢٩)]

(١٨) خطبة للصديق
فى التذكير بصلاة المسافر

أخرج أبو نعيم فى «الحلية »،وابن جرير، عن أبى العالية، قال : خطبنا أبو بكر الصدِّيق رضي الله عنه، فقال :

« قالَ رسولُ الله ﷺ : للظاعنِ(١) ركعتانِ، وللمقيمِ أربعٌ، مَولدى بمكةَ، ومُهَاجَرِى بالمدينةِ، فإذا خرجتُ مصعداً مِنْ ذى الحُليفةِ صلَّيْتُ ركعتينِ ».

[كذا فى الكنز (٤/ ٢٣٩)]

(٢) أى: المسافر ...

(١٩) خطبة للصديق فى التبشير بفتح الشام وما ينبغى عليهم أن يلاحظوه عند فتحها

وأخرج أحمد فى «الزهد»، عن أبى ضمرة، قال : خطب أبو بكر الصديق رضي الله عنه الناس، فحمد الله، وأثنى عليه، ثم قال :

« إنَّه سَيُفْتَحُ لَكُمُ الشَّامُ فَتَأتونَ أرضًا رفيقةً؛ فتشبعونَ فيها من الخبز والزيت، وستُبْنَى لَكُمْ فِيْهَا مَسَاجِدُ، وإيَّاكم أنْ يعلمَ اللهُ مِنْكُمْ أنَّكُمْ تَأتونَها تَلَهِّيًا، إنَّما بُنِيَتْ للذِّكْرِ ».

[كذا فى الكنز (٤/ ٢٥٩)]

(٢٠) خطبة للصديق فى التذكير ببدء خلق الإنسان

وأخرج ابن أبى شيبة، عن أنس رضي الله عنه، قال : كان أبو بكر رضي الله عنه يخطبنا، فيذكر بَدْءَ خَلْق الإنسان، فيقول :

«خُلِقَ مِنْ مَجْرَى البَوْلِ - مرتين - فيذكُر حتَّى يَتَقَذَّرَ أحَدُنَا نَفْسَهُ».

[كذا فى الكنز (٨/ ٢٠٥)]

ومن وصاياه رضي الله عنه لأمراء جيوشه :

وصيته لأسامة بن زيد رضي الله عنه

فقد أوصى أبو بكر الصدِّيق رضي الله عنه أسامة بن زيد وجيشه، حين سيَّره إلى « أبنى »(١)، فقال :

« **يَا أيُّها الناسُ .. قِفُوا أُوصيكم بعَشْرٍ فاحْفَظُوها عنِّى : لا تَخُونوا، ولا تَغُلُّوا (٢)، ولا تَغْدِروا (٣)، ولا تُمثِّلوا، ولا تَقتلوا طفلاً صغيراً، ولا شيخاً كبيراً، ولا امرأةً، ولا تَقعروا (٤) نَخْلاً ولا تَحرقوه، ولا تقطعوا شجرةً مثمرةً، ولا تَذبحوا شاةً ولا بقرةً ولا بَعيراً إلا لمأكلة (٥)، وسوف تمرُّون بأقوامٍ قد فَرغوا أنفسَهم فى الصَّوامعِ فدَعُوهم وما فَرغوا أنفسَهم له، وسوفَ تقدُمون على قومٍ يأتونكم بآنيةٍ فيها ألوانُ الطعام، فإذا أكلتُم منها شيئاً بعدَ شىء، فاذكروا اسمَ الله عليها، وَتَلْقَوْنَ أقواماً قد فحصُوا أوساطَ رؤوسهم، وتركوا حَوْلَها مثلَ العصائبِ، فاخفقوهمْ (٦) بالسيفِ خَفْقاً، انْدَفِعُوا باسمِ اللهِ** »(٧).

[تاريخ الطبرى (٣/ ٢١٣)، والكامل لابن الأثير (٢/ ١٦٢)]

---

(١) موضع بقرب مؤتة بمشارق الشام، استشهد فيه والده زيد بن حارثة.

(٢) غل صدره : حقد.

(٣) من الغدر.

(٤) قعر النخلة : قطعها من أصلها فسقطت.

(٥) المأكلة : أى: ما أكل.

(٦) خفقه : ضربه بشىء عريض.

(٧) وأورد «العقد الفريد» هذه الوصية وذكر أنها وصية من أبى بكر ليزيد بن أبى سفيان ـ راجع «العقد الفريد» ج ١ ص ٤٠.

ووصيته لعمرو بن العاص والوليد بن عقبة رضي الله عنهما

فقد شيع أبو بكر الصدِّيق رضي الله عنه عمرو بن العاص، والوليد بن عقبة، مبعثهما على الصدقة، وأوصى كل واحد منهما بوصية، قال فيها :

« اتَّقِ اللهَ فى السِّرِّ والعلانية ،فإنَّه مَنْ يتَّقِ اللهَ يَجْعَلْ له مَخْرَجًا، ويرزقه منْ حيثُ لا يحتسبُ، ومَنْ يتَّقِ اللهَ يُكفِّرْ عنهُ سيئاته، ويُعظمْ له أَجْراً ، فإنَّ تَقْوَى الله خيرُ ما تَوَاصَى به عبادُ الله ، إنَّك فى سبيلٍ منْ سُبُلِ الله، لا يسعكَ فيه الإدهانُ [1] والتفريطُ والغَفْلَةُ عمَّا فيه قوامُ دِينكُمْ ،وعِصمةُ أَمْرِكُمْ؛ فلا تَنِ ، ولا تفترْ . .

[تاريخ الطبرى (٤/ ٢٩)]

ووصيته لخالد بن الوليد رضي الله عنه

فقد قال له أبو بكر الصدِّيق رضي الله عنه :

« سِرْ عَلَى بركَةِ الله ، فَإذا دَخلتَ أرضَ العدوِّ فَكُنْ بَعيدًا منَ الحَمْلَةِ، فإنِّى لا آمنُ عليكَ الجَوْلَةَ ، واستظهرْ بالزَّاد ، وسِرْ بالأَدلاَّء، ولا تُقَاتلْ بمجروحٍ، فإنَّ بَعْضَهُ لَيْسَ منْهُ، واحْتَرِسْ منَ البيات، فإنَّ فى العربِ غِرَّةً، وأَقللْ منَ الكلامِ ، فإنَّ ما لكَ مَا وُعِىَ عنكَ ، واقبلْ

(١) الإدهان : المداهنة والغش.

مِنَ الناسِ عَلانِيَتَهُمْ ،وَكِلْهُمْ إلى اللهِ فى سَرِيرتهم ، وأَسْتَودِعُكَ اللهَ الذى لا تضيعُ وَدائِعُهُ » .

[العقد الفريد (١/ ٤٠)]

❑❑❑

ووصيته لعمرو بن العاص رضي الله عنه

وخرج أبو بكر الصدِّيق رضي الله عنه ، يمشى إلى جنب راحلة عمرو بن العاص ، وهو يوصيه ، ويقول:

« يا عَمْرُو.. اتَّقِ اللهَ فى سِرِّ أَمْرِكَ وعَلانيته ، واسْتَحِيهِ فإنَّه يراكَ ويَرى عَمَلَكَ ، وقدْ رأيتَ تَقديمى إيَّاكَ عَلَى مَنْ هو أقدمُ سابقةً منكَ، ومَنْ كانَ أعظمَ غَنَاءً عنِ الإسلامِ وأهله منكَ، فَكُنْ مِنْ عُمَّالِ الآخرة، وأَرِدْ بما تَعملُ وَجْهَ الله، وَكُنْ والدًا لمنْ معكَ، ولا تكشفنَّ الناسَ عَنْ أَسْتَارِهم ، واكْتَفِ بِعَلانيتهمْ ، وكُنْ مُجِدّاً فى أَمْرِكَ ، واصْدُقِ اللقاءَ إذا لاقيتَ ولا تَجْبُنْ ، وتَقَدَّمْ فى «العُلوم» (١) وعَاقِبْ عليه، وإذا وعظتَ أصحابكَ فَأَوْجِزْ، وأَصْلِحْ نَفْسَكَ تَصْلُحْ لَكَ رَعِيَّتُكَ » ... فى وصية طويلة .

[تاريخ ابن عساكر (١/ ١٢٩)]

❑❑❑

(١) هكذا فى الأصل، ولعلَّها «العدوّ» بمعنى الإقدام والشجاعة عند قتال الأعداء، وتعقُّب العدوّ أينما ذهب، والقضاء عليه؛ حتى يتم النصر.

ووصية أخرى لعمرو بن العاص ﷺ

وأمدَّ أبو بكر الصدِّيق ﷺ أبا عبيدة بجيش عليه عمرو بن العاص ، فلما أراد الشخوص خرج معه أبو بكر ﷺ يشيِّعه ،ويقول:

« يا عَمرو... إنكَ ذو رأيٍ وتجربةٍ بالأمور وتَبصرةٍ بالحرب، وقدْ خَرجتَ مع أشْرَاف قومكَ ، ورجَالٍ من صُلَحَاءِ المسلمينَ، وأنتَ قادمٌ على إخوانكَ فلا تَألُهُمْ نَصيحةً ، ولا تَدَّخرْ عنهم صالحَ مشورةٍ؛ فرُبَّ رأيٍ لكَ محمودٌ فى الحربِ ، مُبارَكٌ فى عواقبِ الأمورِ ..

فقال له عمرو :

«ما أَخْلَقَنِى أنْ أصدِّق ظنك وأنْ أقبلَ رأيك» .

ثم ودَّعه وانصرف.

[فتوح الشام (٤١)]

ووصيته ليزيد بن أبى سفيان ﷺ

ودعا أبو بكر الصدِّيق ﷺ يزيد بن أبى سفيان، فعقد له، وأوصاه، فقال:

« يا يزيدُ .. إنّى أُوصيكَ بتَقْوَى اللهِ وطاعتِهِ، والإيثارِ له ،

والخوف منهُ، وإذا لقيتَ العدوَّ فَأَظفركم اللهُ بهم ، فلا تغلُلْ ولا تمثِّلْ، ولا تغدرْ ولا تجبنْ، ولا تقتلوا وليدًا، ولا شيخًا كبيرًا ولا امرأةً، ولا تحرقوا نخلاً ولا تقعروه، ولا تقطعوا شجرةً مثمرةً، ولا تعقروا بهيمةً إلا لمأكلةٍ، وستمرُّون بقومٍ فى الصوامعِ ، يزعمونَ أنهم حَبسوا أنفسَهم للهِ، فَدَعُوهُمْ وما حَبسوا أنفسَهم له ، وستجدونَ آخرينَ قد فحصَ الشيطانُ عَنْ أوساطِ رؤوسهمْ ، حتَّى كأنَّ أوساطَ رؤوسهمْ أَفاحيصَ (١) القَطَا، فاضربوا ما فَحصوا من رؤوسهمْ بالسيوفِ ، حتَّى يُنيبوا إلى الإسلام ، أو يؤدُّوا الجِزيةَ عَنْ يدٍ وهم صَاغِرونَ، وَلينصرنَّ اللهُ مَنْ ينصرهُ ورسلهُ بالغَيبِ».

ثم أخذ بيده، فقال:

«إنِّى أستودعكَ اللهَ، وعليكَ سلامُ اللهِ ورحمتُه».

ثم ودَّعه وقال :

«إنَّكَ أَوَّلُ أُمرَائى ، وقَدْ وَلَّيتكَ على رِجَالٍ من المسلمينَ أشرافٍ غيرِ أوزاعٍ (٢) فى الناسِ ، فَأَحْسِنْ صُحبتهم ، ولتكنْ لهم كَنفًا واخفضْ لهم جَناحكَ ،وشَاوِرْهُمْ فى الأَمْرِ.. أَحْسَنَ اللهُ لكَ الصَّحَابَةَ وعَلينا الخِلافَة».

[فتوح الشام (٨)]

---

(١) جمع أفحوص وهو ما يجثم فيه القطا.

(٢) أى: ليسوا بأدنياء، ولا ضعفاء، ولا جفاة.

ووصية أخرى ليزيد بن أبى سفيان

ووصَّى أبو بكر الصدِّيق رضي الله عنه يزيد بن أبى سفيان أيضاً. حين وجَّهه لفتح الشام. فقال:

«إنِّى قَدْ وَلَّيتكَ لأبلوكَ وأُجرِّبكَ وأُخرِّجكَ (١)، فإنْ أحسنت رددتك إلى عملكَ وزدتكَ، وإنْ أسأتَ عزلتكَ، فعليكَ بتقوى الله، فإنَّهُ يرَى منْ بَاطنكَ مثْلَ الذى يرَى منْ ظَاهركَ، وإنَّ أوْلَى الناسِ بالله أشَدُّهم تولِّياً له، وأقربَ الناسِ من الله أشدُّهم تَقرُّبًا إليه بعمله، وقد ولَّيتكَ عملَ خالدٍ (٢)، فإيَّاكَ وعبيةَ(٣) الجاهليةِ فإنَّ الله يُبغضها ويُبغضُ أهلَها، وإذا قدمتَ على جُندكَ فأحسنْ صُحبتَهم وابْدَأهُم بالخيرِ، وعِدْهُمْ إيَّاه، وإذا وعظتَهم فأوجزْ، فإنَّ كثيرَ الكلامِ يُنسى بعضُه بعضًا، وأصلحْ نفسكَ يصلحْ لكَ الناسُ، وصَلِّ الصلواتِ لأوقاتِها، بإتمامِ رُكُوعِها وسُجودها والتَّخشُّعِ فيها»، وإذا قدمَ عليكَ رسلُ عدوِّكَ فأكرِمْهُم وأقْلِلْ لُبثهم حتَّى يَخرجوا منْ عَسكركَ وهم جاهلونَ به ولا تُرَيِّثْهُمْ (٤) فيَروا خَلَلَكَ، ويَعلموا علمكَ، وأنزلْهُمْ فى ثروةِ عَسْكرِكَ، وامنعْ مَنْ

---

(١) خرَّجه. أى: دربه وعلمه.

(٢) هو خالد بن سعيد بن العاص. وكان أبو بكر سيَّره إلى الشام أولاً ثم عزله.

(٣) أى: الكبر والفخر.

(٤) من الريث. وهو الإبطاء.

قِبَلَكَ مِنْ مُحادثتهمْ، وكنْ أنتَ المتولّى لكلامهم ، ولا تجعلْ سِرَّكَ لعلانيتكَ، فيَختلطْ أَمْرُكَ ، وإذا استشرتَ فاصْدُقِ الحديثَ تُصْدَقِ المشُورَة، ولا تخزنْ عن المشيرِ خبَركَ ، فتُؤتَى مِنْ قِبَلِ نفسكَ ، واسْمُرْ بالليلِ فى أصحابكَ تأتكَ الأخبارُ،وتنكشفْ عندكَ الأستارُ ،وأكثرْ حَرسكَ وبدِّدْهُمْ فى عَسكركَ ، وأكثرْ مُفاجأتهم فى مَحارسهم بغيرِ علمٍ منهم بكَ، فَمَنْ وجدتَهُ غفلَ عن مَحْرَسه ، فأَحْسِنْ أدَبه وعاقبهُ فى غيرِ إفراطٍ ، وعقِّبْ[1] بينهم بالليلِ ، واجعلِ النوبةَ الأُولى أطولَ منَ الأخيرةِ ، فإنَّها أيسرهما لقُربها من النهارِ، ولا تخفْ مِنْ عقوبةِ المستحقِّ، ولا تلجنَّ فيها ، ولا تُسرعْ إليها، ولا تخذلها مدقعًا [2]، ولا تغفلْ عن أهلِ عسكركَ فتفسدهم ، ولا تَجَسَّسْ عليهم فَتَفْضَحهم، ولا تَكشفِ الناسَ عن أَسرارهم ، واكْتَفِ بعَلانيتهمْ ، ولا تُجالس العبَّاثينَ ، وجَالسْ أهلَ الصِّدقِ والوفاءِ ، واصْدُقِ اللقاءَ ، ولا تَجْبُنْ فَيجبنَ الناسُ، واجتنبِ الغلولَ[3] فإنَّه يقرِّبُ الفقرَ ، ويدفعُ النَّصرَ، وستجدونَ أقوامًا حبَسوا أنفسَهم فى الصوامعِ ، فدَعْهُم وما حبَسوا أنفسَهم له » .

[تاريخ الكامل لابن الأثير (٢/ ١٩٦)]

---

(١) عقبه تعقيباً : جاء بعقبه. (٢) أى: ولا تضعف. (٣) غل غلولاً، أى: خان.

ووصيته لشرحبيل بن حسنة ﷺ

ووجَّه أبو بكر الصدِّيق ﷺ شرحبيل بن حسنة ﷺ ، وودَّعه ، فقال له:

« يا شرحبيلُ .. ألمْ تسمعْ وَصيَّتى ليزيدَ بن أبى سُفيان ؟. قال: بلى. قال: فإنِّى أُوصيكَ بمثلها، وأُوصيكَ بخصالٍ أغفلتُ ذكرهنَّ ليزيدَ؛ أُوصيكَ بالصلاةِ فى وَقتها، وبالصبرِ يومَ البأسِ حتَّى تَظفرَ أو تُقتلَ ، وبعيادةِ المَرْضَى ، وبحضورِ الجنائزِ ، وذِكْرِ اللهِ كثيرًا على كلّ حالٍ ». [فتوح الشام (١)]

ووصيته لأبى عبيدة بن الجراح ﷺ

ولما أراد أبو بكر الصدِّيق ﷺ أن يبعث أبا عبيدة بن الجراح، دعاه فودَّعه، ثم قال له:

« اسْمَعْ سَمَاعَ مَنْ يريدُ أنْ يفهمَ ما قِيلَ له ، ثم يَعملَ بما أُمرَ به ، إنَّكَ تخرجُ فى أشرافِ الناسِ، وبيوتات العربِ ، وصُلحاءِ المسلمينَ ، وفرسانِ الجاهليةِ ، كانوا يقاتلونَ إذْ ذاكَ على الحميَّةِ، وهم اليومَ يقاتلونَ على الحِسْبَةِ والنِّيَّةِ الحَسَنَةِ ، أَحْسِنْ صُحبةَ مَنْ صَحِبَكَ ، وليكنِ

الناسُ عندكَ فى الحقِّ سواءٌ، واستعنْ باللهِ وكَفَى باللهِ مُعينًا ، وتوكَّلْ عَلَى اللهِ وكَفَى باللهِ وَكيلاً. اخْرُجْ مِنْ غَدٍ إنْ شاءَ الله ».

[فتوح الشام (١٢)]

ووصية أخرى لأبى عبيدة بن الجراح رضي الله عنه

فلما كان من الغد خرج أبو بكر رضي الله عنه يمشى فى رجال من المسلمين حتى أتى أبا عبيدة ، فسار معه حتى بلغ ثنية الوداع ، ثم قال حين أراد أن يفارقه:

« يَا أبَا عُبَيْدَةَ... اعْمَلْ صَالحاً، وعِشْ مجاهدًا ، وتَوَفَّ شَهيدًا، يُعطكَ اللهُ كتابكَ بيمينكَ ،ولتقرَّ عينُكَ فى دُنياكَ وآخرتكَ ، فواللهِ إنِّى لأَرجو أنْ تكونَ مِنَ التوَّابينَ الأوَّابينَ المُخْبِتين (١) الزاهدينَ فى الدُّنيا، الرَّاغبين فى الآخرةِ . إنَّ اللهَ قَدْ صنعَ بكَ خيرًا وساقَهُ إليكَ ، إذْ جعلكَ تسيرُ فى جيشٍ مِنَ المسلمينَ إلى عدوِّهِ مِنَ المشركينَ ، فَقَاتِلْ مَنْ كَفَرَ باللهِ وأشركَ بهِ ، وعَبَدَ مَعَهُ غَيْرَهُ ».

[فتوح الشام (١٤)]

---

(١) أخبت : أى: خشع وتواضع.

ووصيته لهاشم بن عتبة رضي الله عنه

ولما سار هاشم بن عتبة ودَّعه أبو بكر رضي الله عنه ، وقال له :

« يا هاشمُ ... إنَّا إنَّما كُنَّا ننتفعُ منَ الشيخِ الكبيرِ برأيه ومشورته وحُسنِ تدبيره، وكُنَّا ننتفعُ منَ الشابِّ بصبره وبأسه ونجدته ، وإنَّ الله - عزَّ وجلَّ - قَدْ جمعَ لكَ تلكَ الخصالَ كلها، وأنتَ حديثُ السِّنِّ مُستقبلُ الخيرِ، فإذَا لقيتَ عَدُوَّكَ فاصْبِرْ وصَابِرْ، واعْلَمْ أنكَ لا تَخطو خُطوةً ، ولا تنفقُ نفقةً ، ولا يُصيبُكَ ظمأٌ ولا نَصَبٌ ولا مَخْمَصَةٌ [1] فى سبيلِ اللهِ إلا كتبَ اللهُ لكَ بهِ عملاً صالحاً .. إنَّ اللهَ لا يُضيعُ أجرَ المحسنينَ » .

فقال هاشم :

« إنْ يُرِدِ اللهُ بى خيرًا يَجعلنى كذلكَ ، وأنا أفعلُ ولا قوةَ إلا باللهِ، وأنا أرجو إنْ أنا لم أُقتل أنْ أُقتل ثم أُقتل [2] إنْ شاء الله» .

فقال له سعد بن أبى وقاص رضي الله عنه :

« يا بنَ أخى.. لا تطعنْ طعنةً ولا تضربنَّ ضربةً إلا وأنتَ تريدُ بها وَجْهَ اللهِ ، واعلمْ أنكَ خارجٌ منَ الدُّنيا رَشيدًا ، وراجعٌ إلى اللهِ

---

(١) المخمصة : أى: الجوع. (٢) أُقتل : بضم الألف.

قريباً ،ولنْ يَصْحَبَكَ مِنَ الدُّنيا إلى الآخرةِ إلا قَدَمُ صِدْقٍ قَدَّمْتَهُ، أو عملٌ صالحٌ أَسْلَفْتَهُ » .

فقال:

«أىْ عَمُّ .. لا تَخَالَنَّ (١) منِّى غيرَ هذا ، إنِّى إذن لمنَ الخاسرين، إنْ جعلتُ حلِّى وارتحالى وغدوى ورَواحى وسَيفى وطَعْنِى برُمْحِى وضَرْبِى بسَيفى رِياءَ الناسِ» .

ثم خرج فقدم على أبى عبيدة؛ فَتَبَاشَرَ ـ بمقدمه ـ المسلمون .

[فتوح الشام (٢٨)]

❑❑❑

ووصيته لعمر بن الخطاب عند موته

« إنِّى مُسْتَخْلِفُكَ مِنْ بَعدى ، ومُوصيك بتقوى الله ، إنَّ لله عملاً بالليل لا يقبلهُ بالنهارِ، وعملاً بالنهارِ لا يقبلهُ بالليلِ ، وإنَّه لا تُقْبَلُ نافلةٌ حتَّى تُؤدَّى الفريضةُ ، فإنَّما ثقلتْ موازينُ مَنْ ثقلتْ موازينُه يومَ القيامةِ باتِّباعهم الحقَّ فى الدُّنيا وثقله عليهم ، وحُقَّ لميزانٍ لا يُوضَعُ فيه إلا الحقُّ أنْ يكونَ ثقيلاً ، وإنَّما خَفَّتْ موازينُ مَنْ خَفَّتْ موازينُه يومَ القيامةِ باتِّباعهم الباطلَ وخِفَّتِه عليهم ،وحُقَّ لميزانٍ لا يُوضَعُ فيه

(١) فى الأصل : لا تخافن.

إلا الباطلُ أنْ يكونَ خفيفاً. إنَّ اللهَ ذكرَ أهلَ الجنةِ فذكرَهُمْ بأحسنِ أعْمالِهم، وتجاوزَ عنْ سيِّئاتهم، فإذا ذكرتُهم قلتُ إنّى أخافُ ألاَّ أكونَ منْ هؤلاء، وذكرَ أهلَ النارِ فذكرهم بأسْوإِ أعْمالِهم ولمْ يذكرْ حسناتهم، فإذا ذكرتُهم قلتُ إنّى لأرجو ألاَّ أكونَ منْ هؤلاء، وذكرَ آيةَ الرحمةِ مع آيةِ العذابِ ليكونَ العبدُ راغباً راهباً، ولا يتمنَّى علَى اللهِ غيرَ الحقِّ، ولا يُلْقِى بيدِه إلى التهلكةِ، فإذا حفظتَ وصيَّتى فلا يكنْ غائبٌ أحبَّ إليكَ منَ الموتِ وهو آتيكَ، وإنْ ضيَّعتَ وصيَّتى فلا يكنْ غائبٌ أبْغَضَ إليكَ منَ الموتِ ولستَ بمعجزِ اللهِ».

[البيان والتبيين (٢/ ٢٢)، والكامل لابن الأثير (٢/ ٢٠٨) والعقد الفريد (١/ ٢٩٨)].

دعاءأبى بكر رضي الله عنه

وكان أبو بكر رضي الله عنه يدعو فى كل يوم، غدوةً وعشيةً، فى دبر صلاة الغداة (١)، وبعد العصر، يقول:

«اللهمَّ إنَّا خُلقنا ولَمْ نَكُ شيئًا، ثُمَّ بعثتَ إلينا رسولاً، رحمةً منكَ لنا، وفضْلاً منكَ علينا، فهديتنا وكُنَّا ضُلاَّلاً، وحبَّبْتَ إلينا الإيمانَ وكُنَّا كُفَّارًا، وكثَّرتنا وكُنَّا قليلاً، وجمَّعْتَنَا وكُنَّا أشْتَاتًا، وقوَّيتنا وكُنَّا ضِعافًا،

(١) أى: صلاة الصبح.

ثم فَرَضْتَ علينا الجهادَ، وأَمَرْتَنا بقتالِ المشركينَ حتَّى يقولوا لا إلهَ إلا اللهُ أو يُعطوا الجزيةَ عن يدٍ وهم صَاغِرون، اللهمَّ لأَصْبَحْنَا أنْ نطلبَ رِضَاكَ، ونجاهدَ أعداءكَ، مَنْ عَدَلَ بكَ، وعَبَدَ معكَ إلَهاً غيرَكَ، تعاليتَ عمَّا يقولونَ عُلوّاً كبيرًا، اللهمَّ فَانْصرْ عبادكَ المسلمينَ علَى عدوِّكَ منَ المشركينَ، اللهمَّ افتحْ لهم فتحًا يسيرًا، وانْصُرْهم نصرًا عزيزًا، واجعلْ لهم منْ لَدُنْكَ سُلطاناً نصيرًا، اللهمَّ شَجِّعْ جُبْنَهُمْ، وثَبِّتْ أقدامَهُمْ، وزَلْزِلْ بعدُوِّهِمْ، وأَدْخِلِ الرعبَ قُلوبَهُمْ، واسْتَأصِلْ شَأفَتَهُمْ، واقْطَعْ دابرَهُمْ، وأَبِدْ خَضْرَاءَهُمْ، وأَوْرِثْنَا أرضَهم وديارَهم وأَمْوَالَهم، وكُنْ لنا وَلِيّاً، وبنا حَفِيّاً[1]، وأَصْلِحْ لنا شَأنَنَا كُلَّهُ ونِيَّاتِنَا وقَضَاءنا وتَبِعَاتِنَا، واجْعَلْنَا لأَنْعُمِكَ منَ الشاكرينَ، واغفرْ لنا والمؤمنينَ والمؤمناتِ، والمسلمينَ والمسلماتِ، الأحياءِ منهمْ والأمواتِ، ثَبِّتَنَا اللهُ وإيَّاكم بالقولِ الثابتِ فى الحياةِ الدُّنيا وفى الآخرةِ، إنَّه بالمؤمنينَ رؤوفٌ رحيمٌ».

[فتوح الشام (٩)]

وصية أبى بكر لعمر رضي الله عنه

أخرج الطبرانى عن الأغر ـ أغر بنى مالك ـ قال: لما أراد أبو بكر أن يستخلف عمر رضي الله عنه، بعث إليه، فدعاه، فأتاه، فقال:

(١) أى: كثير البر والرضا.

«إنّى أدعوكَ إلى أَمْرٍ متعبٍ لمنْ وَلِيهُ ، فَاتَّقِ اللهَ يا عُمَرُ بطاعته ، وأَطِعْهُ بِتَقْوَاهُ فإنَّ التُّقَى أَمْرٌ محفوظٌ ثُمَّ إنَّ الأمرَ معروضٌ لايستوجبهُ إلا مَنْ عَمِلَ به، فَمَنْ أَمَرَ بالحقّ وعَمِلَ بالباطل ، وأَمَرَ بالمعروف وعَمِلَ بالمنكر يُوشِكُ أنْ تنقطعَ أمنيتُه وأنْ يحبطَ عملُه ، فإنْ أنتَ وُلِّيْتَ عليهمْ أَمْرَهُم ، فإنِ استطعتَ أنْ تخفَّ (١) يديكَ منْ دمائهمْ، وأنْ تُضَمِّرَ بطنكَ منْ أموالهمْ ، وأنْ تجفَّ لسانكَ عَنْ أعراضهمْ فافعلْ.. ولا قُوَّةَ إلا باللهِ».

قال الهيثمى (٥/ ١٥٨):

«والأغرُّ لم يدرك أبا بكر ﷺ ، وبقية رجاله ثقات» ـ انتهى .

وقال الحافظ المنذرى فى الترغيب (٤/ ١٥) :

«ورواته ثقات إلا أن فيه انقطاعاً» ـ انتهى .

وأخرج ابن عساكر، عن سالم بن عبد الله بن عمر ﷺ ، قال:

لما حضر أبا بكر ﷺ الموت؛ أوصى :

«بسم الله الرحمن الرحيم .. هذا عهدٌ منْ أبى بكرٍ الصدّيق ، عندَ آخرِ عَهْدِه بالدُّنيا ، خَارجاً منْهَا، وَأَوَّلِ عَهْدِه بالآخرة ، دَاخلاً فيْهَا، حيثُ يؤمنُ الكافرُ ، ويَتَّقِى الفاجرُ ويَصْدُقُ الكاذبُ.. إنّى استخلفتُ منْ

---

(١) يوصيه بأن يراعى حقوق المسلمين، وأن يحفظ دماءهم فلا يعاقب أحداً منهم إلا بما يستحقه وفقاً لشرع الله، وأن يحافظ على أموالهم وأعراضهم؛ كى لا يحمل أوزارهم.

بَعْدِى عمرَ بنَ الخطاب ، فإنْ عدلَ فذلكَ ظَنِّى فيه ، وإنْ جَارَ وبَدَّلَ فالخيرَ أردتُ ، ولا أعلمُ الغيبَ:

﴿ وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴾(١) .

ثم بعث إلى عمر رضي الله عنه، فدعاه، فقال:

«يا عُمَرُ.. أبغضكَ مُبْغِضٌ، وأحبَّكَ مُحِبٌّ، وقدْ ما يُبْغَضُ الخيرُ ويُحَبُّ الشرُّ.قال: فَلا حَاجةَ لى فِيْهَا. قال: لكنْ لهَا بكَ حاجةٌ، وقَدْ رأيتَ رسولَ الله ﷺ وصَحِبْتَهُ، ورأيتَ أَثَرَتَهُ أَنْفُسَنَا على نفسه حتَّى إنْ كُنَّا لَنُهدى لأهله فَضْلَ ما يأتينا منهُ، ورأيتنى وصَحِبْتَنى وإنَّما اتَّبعتُ أثرَ مَنْ كان قَبْلِى ، والله .. ما نمتُ فَحلمتُ ، ولا شَهدتُ فتوهَّمْتُ ، وإنِّى لعَلَى طريقٍ مَا زغتُ. تعلم يا عُمَر.. أنَّ لله حقاً فى الليلِ لا يقبلهُ بالنهارِ ، وحقاً بالنهارِ لا يقبلهُ بالليلِ، وإنَّما ثقلتْ موازينُ مَنْ ثقلتْ موازينُه يومَ القيامةِ باتِّباعهم الحقَّ، وحُقَّ لميزانٍ أنْ يثقلَ لا يكونُ فيه إلا الحقُّ ،وإنَّما خَفَّتْ موازينُ مَنْ خَفَّتْ موازينُه يومَ القيامةِ باتِّباعهم الباطلَ ، وحُقَّ لميزانٍ أن يخفَّ لا يكونُ فيه إلا الباطلُ. إنَّ أَوَّلَ ما أُحَذِّرُكَ نفسُكَ ، وأُحذركَ الناسَ فإنَّهم قد طمحتْ أبصارُهم ، وانتفختْ أَهْواؤهم ، وإنَّ لهم الخيرةَ عَنْ زَلَّةٍ تكونُ ، فإيَّاكَ تكونهُ ،

(١) سورة الشعراء : ٢٢٧.

فإنَّهم لَنْ يَزالوا خائفينَ لكَ فَرِقِيْنَ منكَ ما خفتَ اللهَ وفَرِقْتَهُ. وهذه وَصِيَّتى، وأقرأُ عليكَ السَّلام».

[كذا فى الكنز (٣/ ١٤٦)]

وعند ابن المبارك، وابن أبى شيبة، وهناد، وابن جرير، وأبى نعيم فى «الحلية»، عن عبد الرحمن بن سابط، وزيد بن زيد بن الحارث، ومجاهد ﷺ، قالوا: لما حضر أبا بكر الموت دعا عمر ﷺ. وقال له:

«اتَّقِ اللهَ يا عُمر.. واعلمْ أنَّ لله عملاً بالنهار لا يقبلهُ بالليل، وعملاً بالليل لا يقبلهُ بالنهار، وأنَّه لا يقبلُ نافلةً حتَّى تؤدَّى الفريضة، وإنَّما ثقلتْ موازينُ مَنْ ثَقُلَتْ موازينُه يومَ القيامةِ باتِّباعهم الحقَّ فى دارِ الدُّنيا وثقلِه عليهم، وحُقَّ لميزانٍ يُوضَعُ فيه الحقُّ غداً أنْ يكونَ ثقيلاً، وإنَّما خَفَّتْ موازينُ مَنْ خَفَّتْ موازينُه يومَ القيامةِ باتِّباعهم الباطلَ فى الدُّنيا وخِفَّتِه عليهم، وحُقَّ لميزانٍ يُوضَعُ فيه الباطلُ غداً أنْ يكونَ خفيفاً.

وإنَّ اللهَ تعالى ذكرَ أهلَ الجنةِ فَذَكَرهم بأحسنِ أعْمالِهم، وتجاوزَ عن سيِّئِه، فإذا ذَكرتُهم قلتُ: إنِّى لأخافُ أنْ لا ألحقَ بهمْ، وإنَّ اللهَ تعالى ذكرَ أهلَ النارِ فَذَكرهم بأسوإِ أعْمالِهم، ورَدَّ عليهمْ أحْسَنَهُ، فإذا ذَكرتُهم قلتُ: إنِّى أخافُ أنْ أكونَ معَ هؤلاءِ، وذكرَ آيةَ الرحمةِ وآيةَ

العذاب ، فيكونُ العبدُ راغباً راهباً ، ولا يتمنَّى على الله غيرَ الحقّ ، ولا يقنطُ منْ رحمته ، ولا يُلقى بيديه إلى الهلكة . فإنْ أنتَ حفظتَ وَصيَّتى ؛ فَلا يَكُ غَائبٌ أَحبَّ إليكَ منَ الموت وهو آتيكَ ، وإنْ أنتَ ضَيَّعْتَ وَصيَّتى ؛ فَلا يَكُ غائبٌ أَبْغَضَ إليكَ منَ الموتِ ، ولستَ بِمُعْجِزِه» .

وبعد أن قضى أبو بكر الصدِّيق رضي الله عنه على ردَّة العرب، وعلى الثورة التى اشتعلت فى طول الجزيرة وعرضها ، إثر وفاة الرسول ﷺ ، وبعد أن فتح العراق وأوشكت جيوشه أن تدخل المدائن، كما فتح الشام، ومهَّد لإقامة الإمبراطورية الإسلامية ، كل هذا فى سنتين وثلاثة أشهر.

وبعد مجهود كبير بذله الصدِّيق رضي الله عنه ـ وهو فوق الستين من عمره ـ أحسَّ بمرض شديد..

تقول عائشة رضي الله عنها ، وهى بنت الصدِّيق رضي الله عنه :

« كانَ أولَ مَا بَدأَ مرضُ أبى بكر ، أنَّه اغتسلَ فى يومٍ باردٍ ، فَحُمَّ خمسةَ عشرَ يوماً ، لا يخرجُ إلى الصلاةِ، وكانَ يأمرُ عمرَ بن الخطابِ أنْ يُصلِّىَ بالناسِ » .

وكان أكثر ما شُغل به الصدِّيق فى مرضه، إشفاقه من مصير المسلمين بعده ، ومن اختلافهم ـ كما اختلفوا بعد وفاة الرسول ﷺ فى سقيفة بنى ساعدة ـ فألهمه الله أن يستخلف من يقوم بالأمر من بعده ، وأن

يجمع كلمة المسلمين عليه، ثم أخذ يستشير الصحابة فى عمر بن الخطاب ﷺ، فاستشار عبد الرحمن بن عوف ، وعثمان بن عفان، وغيرهما، رضى الله عن الجميع .

وتَسَامَعَ الصحابةُ بأنه يريد عمر. فذهبَ إليه نفرٌ منهم ممن يجدون فى عمر غلظة ، وكان زعيمهم طلحة بن عبيد الله، وقالوا له :« ما أنتَ قائل لربك إذا سألك عن استخلافك عمر علينا، وقد رأيت ما يلقى الناس منه وأنت معه، فكيف إذا خَلاَ بهم بعدَ لقائكَ ربَّك ؟. فغضب أبو بكر، وقال لهم :

« أقول : اللهمَّ استخلفتُ على أَهْلكَ خيرَ أَهْلكَ » .

ودعا أبو بكر ﷺ عثمان بن عفان ، فكتب له كتاب العهد لعمر وختمه ، فخرج عثمان بالكتاب مختوماً على الناس ، وقال لهم : أتبايعون لمن فى هذا الكتاب؟. قالوا: نعم. وبايعوا ابن الخطاب ﷺ .

وسأل أبو بكر ﷺ عائشة ﷺ، وهو فى مرض الوفاة : « **فى كَمْ ثوبٍ كُفِّنَ رسولُ الله ﷺ؟. قالت : فى ثلاثة أثوابٍ . فقال: اغْسِلُوا ثوبىَّ هذين وابْتَاعُوا لى ثوباً آخرَ. قالت: يا أبتِ إنَّا مُوسِرون . قال: أىْ بُنَيَّة .. الحىُّ أَوْلَى بالجديدِ منَ الميت**» .

وبدأ أبو بكر ﷺ يعالج سكرات الموت، وعائشة ابنته إلى جانبه، فلما رأته كذلك تَمثَّلتْ ببيت حاتم:

لَعَمْرُكَ مَا يُغْنِى الثَّرَاءُ عَنِ الفَتَى إِذَا حَشْرَجَتْ يَوْماً، وَضَاقَ بِهَا الصَّدْرُ

فنظر الصدِّيق إليها كالغضبان، ثم قال: ليس كذلك يا أم المؤمنين، ولكن:

﴿ وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴾(١).

وكان آخر ما تكلَّم به:

رَبِّ ﴿ تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِالصَّالِحِينَ ﴾(٢).

ثم فاضت روحه رضي الله عنه، فى يوم الاثنين ٢١ من جمادى الآخرة سنة ١٣ هجرية، وهو فى الثالثة والستين من عمره، وقد دُفن إلى جنب النبى صلى الله عليه وسلم.

ويوم أن مات رضي الله عنه ارتجَّت المدينة لوفاته، وتولَّى الناس الدَّهَش، وأقبل علىٌّ رضي الله عنه مسرعاً باكياً حتى وقف بباب قبره، فقال:

« صدَّقتَ رسولَ الله حينَ كذَّبه الناس، وواسيتَهُ حينَ بَخِلوا، وقمتَ معه حينَ قعدوا، وسمَّاكَ اللهُ فى كتابهِ صِدِّيقًا، فقال:

﴿ وَالَّذِى جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ ﴾(٣) يريد محمدًا ويريدك...».

وقالت ابنته عائشة رضي الله عنها:

(١) سورة ق: ١٩. (٢) سورة يوسف: ١٠١. (٣) سورة الزمر: ٣٣.

« نضَّرَ الله ـ يا أبتِ ـ وَجْهكَ، وشكرَ لكَ صَالِحَ سَعْيِكَ، فقدْ كنتَ للدُّنيا مُذِلاً بِإدْبَارِكَ عَنْها، وللآخرةِ مُعِزاً بإقبالكَ عليها .. ».

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه يرثيه :

« يا خليفةَ رسولِ الله .. لَقدْ كلَّفتَ القومَ بعدكَ تعباً، وولَّيْتَهُمْ نَصَباً، فهيهاتَ مَنْ شَقَّ غبارَكَ، فكيفَ اللحاقُ بِكَ؟ ».

.. ثم كان «عمر بن الخطاب» رضي الله عنه ـ بعدَ ذلك ـ خليفةً لخليفةِ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم .